كلمة الأستاذ الدكتور

سعيد عبد السلام علوش

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للأدب العربي (بالاشتراك) عام1419هـ/1999م

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
وزير الدفاع والطيران والمفتش العام
أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..وبعد:

يسعدني أن أكون من بينكم اليوم، قادماً من (رياض) الرباط إلى الرياض العامرة، لأتشرف بتسلم جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي _ مناصفة مع الزميلة الدكتورة مكارم الغمرى_ وهذا يدل على الوحدة الثقافية والبعد القومي والإسلامي. ولقد جئتكم محمولاً فوق جناح علوم إنسانية احتلت لعقود طويلة، بفرحة صياغتها لمقولة (الإنسان ذلك المخلوق الناطق)، وها هي نفس العلوم تنجز طفرتها النوعية، محتفية اليوم بهذا (الإنسان المخلوق المقارن)، القادر على إلغاء مقولة كيبلنغ (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا)، إذ ليس اللقاء المطابقة والذوبان في الأخر، ولكنه الوحدة في التنوع، فالعالمية ليست أوروبية ولا غربية، كما أن العولمة ليست هيمنة...

وأتساءل هنا: هل توجد ظاهرة واحدة في حياتنا اليومية والفكرية والعقائدية لا تشملها المقارنة، لافي العلوم الإنسانية وحدها بل في العلوم المحضة كذلك. أليس عصرنا هو عصر حوار الديانات وحوار الحضارات... وما احتفالكم اليوم بجائزة الملك فيصل العالمية، إلا أحد المظاهر الحضارية ليست حكمة عربية وإسلامية، ما أحوجنا اليوم إليها أكثر من ذي قبل وما أحوجنا، أيضاً، إلى روح

التسامح الإنساني والإخاء الدولي؛ رفعاً للشأن الإنساني فينا، فلا شمال دون جنوبه ولا جنوب دون شماله، ما دامت الشمس لا تشرق من المغارب وما دام الغروب لن يحصل في المشارق.

وإني لأستأذن حضراتكم لتذكيركم بالاستقبال الذي خصه المشارقة للمغاربة، حين أهداهم أبن عبد ربه (عقده الفريد)... لقد ردوا عليه بقولهم: 0هذه بضاعتنا ردت إلينا). وها نحن اليوم _مشرقاً ومغرباً_ نبحث عن البضاعة التي لا ترد، ونسعى وراء إبداع يعبر عن اختلافنا الجوهري في عالم متغير، يتدثر بقناعات الإقليمية والقارية والعالمية والعولمية، باحثين عن الوجه الحنون لإبداعه بضاعة لا ترد وإنتاج لا يكسد...

فما أحوجنا اليوم أكثر مما مضي إلى النظرة المقارنة والأطر المعرفية والمعلوماتية، للخروج من عنق الزجاجة، بروح أكثر علمية لتوضيح المشروع الحضاري، في عصر اختلاق الصراعات باسم تمايز الحضارات مع أن الوحدة في التعدد الخلاق، لا في نهاية تاريخ فوكوياما

إن من قبيل الاعتداد بتخصص نخبوي وجامعي أن نقول اليوم: ما أحوجنا إلى أدب مقارن يجلو الغشاوة عن الظاهرة الأدبية العامة، المتموقعة بين لغات وثقافات وحضارات وفضاءات متعددة...

فهل علينا بعد هذا أن نتمسك بعلاقات الأسباب بالمسببات، ما دامت المقارنة ليست عقلية بالقطع، ولا ضرورة لتأصيل الدرس المقارن، بمعزل عن باقي وسائل التعبير الأجناسية والمنهجية والمعرفية. لأن الدرس المقارن اليوم ينزع إلى التداخل مع باقي دروس العلوم الإنسانية والعلوم المحضة، وما الاحتفاء بنظرية العلماء والنسقية والدينامية إلا أمثلة عن التطلعات والنزعات، التي يطالب بها الدرس المقارن، لتقليص حجم الثقوب السوداء، التي تفصل بين الآداب الكبرى والآداب الصغرى، وبين الآداب الرسمية والآداب الملحقة، لإيجاد آفاق انتظار القراءات المكبرة والقراءات المصغرة، ما دامت شعرية المقارنة _حتى لا أقول العربية أو الغربية_ هي شعرية في خدمة المتخيل الأدبي والكليات الإنسانية، إذ لم يكن الأدب المقارن في يوم من الأيام مجرد أداة للرد على الغرب، أو آلية لتبرير الاستهلاك المحلي، وإخفاء هيمنة علاقات قوي، بقدر ما هو أداة لخدمة الذكاء البشري... ألم يكن جوته سباقاً في (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) إلى القول :

(الغرب كالشرق

يمنحانك معا نكهة الأشياء الرائقة

اترك عنك هذا الدلال، ودع القشرة

واجلس إلى المائدة الكبيرة

وحتى لو كنت عابراً فلن ترفض

الاستخفاف بهذه الأكلة

وكل من يعرف نفسه

والآخرين يعترف كذلك

بأن الشرق والغرب

لا يمكنهما أبداً الافتراق)

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أنوه بهذا العرس الثقافي الذي يقوم في المملكة العربية السعودية اليوم، ويكفيها فخراً أن تكون سباقة إلى المبادرة بهذا الاحتفاء ينصف قرن من عمر الدرس المقارن العربي، وهي التي تحتفل هذه السنة بذاكرها المئوية، وتأكيدها على الهوية في عصر الاختلاف. فهنيئاً لها بمنجزاتها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.